

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الثانى

إعداد القوى ورباط الخيل

فى صدر الإسلام

الفصل الأول

الرسول القائد العظيم القدوة

معارك سيدنا محمد ﷺ الخالدة

عن مجلة Army Quarterly عدد يوليو ١٩٧٢

« ذاع صيت العرب في آفاق العالم منذ عهد محمد ﷺ

بعلمهم وسلاحهم ، ومن ثم فإن دراسة معاركهم أشد

ضرورة من دراسة تاريخ أى شعب آخر ازدهر بعد انهيار

الإمبراطورية الرومانية » .

محمد ﷺ الإنسان الملهم

« فى أقل من ٥٠ عامًا ما بين (٦٣٠ م ، ٦٨٠ م) أسس العرب أهل الصحراء وأوائل المسلمين امبراطورية عظمى تمتد من أسوار الصين حتى أبواب فرنسا . ولقد قام أولئك الجنود البواسل بروح الفداء والحماس فى صدورهم والرمال والدماء على سيوفهم باكتساح دول المشرق والمغرب المتحضرة أمامهم ، هى دول أغنى منهم إلا أنها فى أغلب الأوقات مفككة وكاد هؤلاء العرب أن يقضوا على دول أوروبا جميعا لولا أنهم توقفوا بعد معركة Poitiers (بواتيه) فى جنوب فرنسا .

ولقد كان الإنسان الذى ألهمهم هذه القوة السياسية والعسكرية ، الإنسان الذى كان عليه أن يثبت الشجاعة التى لا مثيل لها فى أتباعه ومن خلفوهم ، الإنسان الذى وحد بين جنوده بالروح القتالية والولاء التام بطريقة مذهلة . . . كان إنسانا أميا لم يحمل سلاحا حتى بلغ من العمر ٥٣ عاما هو النبى محمد ﷺ » .

وهكذا كان محمداً القائد القدوة والمعلم والرسول الذى استطاع أن يجمع بين شخصية الداعى لنور الإيمان والقائد القوى الأمين الذى يقود الجنود إلى ميدان القتال .

٢٧ غزوة فى خلال عشر سنوات

٤٠ مجموعة سرية لم يشترك فيها الرسول ﷺ القائد ﷺ

وقد خاض محمد الرسول ﷺ القائد فى حياته العسكرية أربع معارك ضارية ، وتعرض للحصار عدة مرات وواجه العدو فى بعض الاشتباكات البسيطة الأخرى ، أما المعارك الأربع الرئيسية فهى :

(بدر وأحد ومؤتة وحنين)

ولنا نحن رجال الحرب والسلام فى هذا الرسول القائد القدوة الحسنة ، فقد كانت الطريقة التى اتبعها فى قيادته هي مخاطبة القلب والعقل الإنسانى بأسلوب الإقناع عن محبة وثقة وولاء واخلاص ، فقد تحلى بصفات القائد الكفاء القدير القوى الأمين مع عظمة الروح وذكاء القلب ورجحان العقل ودقة الملاحظة مع قوة الذاكرة ، وقال الشاعر عنه فى أشعاره :

كم من غزاة للرسول كريمة	فيها رضى للحق أو إعلاء
الخيل تأبى غير أحمد حاميا	وبها إذا ذكر اسمه خيلاء
ساقى الجريح ومطعم الأسرى	ومن أمنت سنابك خيله الأشلاء

وكان ﷺ دائماً فى المقدمة مشاركاً فى القتال دائم المشورة مع أتباعه مع السماح عندما يلزم الأمر ويتبع مبادئ القتال أو مبادئ الحرب من دراسة للعدو وإعداد القوى إلى الحشد الفكرى والروحى إلى الاقتصاد فى القوى والمفاجأة ، كما أظهر فى ممارسته فنون القتال فى المعارك مهارة تكتيكية فائقة تجلّت فى حسن استخدامه لعناصر الاستطلاع والمخابرات والمبادأة وحسن اختيار الأرض التى سيحارب عليها معركته ، وفى الاستفادة من ظروف الجو والبيئة المحيطة به ، وكذلك فى الإنصات إلى شورى أصحابه فيما ينفع وترك ما لا ينفع .

ولقد حدثت انتكاسات فى أحد ومؤتة على سبيل المثال إلا إنه ﷺ قد أعناد أن يحول الكارثة بأسرع ما يمكن إلى انتصار ساحق كدأب القائد الناجح .

مضافا إلى هذا كله أنه أخلص إخلاصًا تامًا لعقيدته وبث الإيمان في قلوب جنوده حتى أنه في احلك اللحظات كانت الهزيمة تنقلب إلى نصر مؤكد ، وكان جنوده يموتون طواعية للفوز بجنة الخلد للمقاتلين في سبيل الله ؛ ولقد أيدّ الله سبحانه وتعالى رسوله القائد وثّبت أقدامه ونصره على أعدائه بالملائكة المنزلة ، والخوارق لم تكن وحدها أداة النصر والعامل الذي غلب به القائد الرسول ﷺ ولكنها كانت تأكيدًا للنبي القائد بأن الله دائما معه ، لا يتخلى عنه حتى يشحذ همته ويثير عزيمته وينبهه بكل ما فيه من حواس لليقظة إلى إعداد المحاربين .

وحقيقة أن النصر من عند الله ما في ذلك شك ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يهب نصره إلا لمن نفذ ما أمر الله به من إعداد للقوى ورباط الخيل ، وكل متطلبات القتال .

الفصل الثانى

إعداد القوى الإسلامية

إعداد الجيوش للقتال :

أوجب الإسلام الإعداد للحرب على أرفع مستوى مع رباط الخيل وحسن توزيع الوحدات للدفاع عن الحدود والمواقع والهيئات الحيوية والحاكمة ، ولقد اتخذ الرسول القائد ﷺ من المدينة المنورة معسكرا له بعد الهجرة ، وأقام بها قاعدة عسكرية إيمانية قوية لنشر الإسلام فى الجزيرة العربية وخارجها بطريقة يظهر بها حسن توزيع اتباعه القلائل بأنه قوى الشوكه مرهوب الجانب ليفكر أعداؤه فى مهادنته ، فتنجح له أهدافه من أقرب الطرق وأسلمها ويتحقق لدينه الجديد السيادة دون أن تراق فى سبيله الدماء . . أما خليفته أبو بكر فقد كان بارعا فى فن تحريك القوات وحسن تعبئتها واستخدامها ، وكذلك الفاروق عمر الذى يعتبر من أبطال الفن الاستراتيجى ، ويشهد بذلك أنه أمر بتأسيس «البصرة والكوفة» فى مواقع مهمة ، تتحكم فى طرق المواصلات المؤدية إلى الجزيرة العربية من بلاد الفرس وغيرها وأقام فى هاتين المدينتين وغيرهما من الأمصار الإسلامية قوات مرابطة ترد العدوان عند وقوعه وكانت هذه القوات تنتقل بأوامره بين مختلف الأقاليم وهو موجود فى المدينة (مثل قوات الانتشار السريع فى عصرنا هذا) .

وكان يكلف قواده أن يصفوا له أرض العدو وصفا يجعله كأنه يعاينها ويراه . . وأن يذكروا له عدد أعدائهم والقائد الذى يتولى قيادتهم (معرفة العدو وعدد قواته وأسماء قادته) وقد وضع عمر بذلك المثل لمن جاء بعده فراعوا فى تأسيس مدنهم موقعها الاستراتيجى بحيث تكون محصنة بمواقع مثل الأنهار وغيرها ، وتتحكم فى طرق اقتراب العدو ويكون من السهل إمدادها بالطعام والسلاح وغير ذلك . . أى لها طرق اقتراب سهلة ومستورة . . كما راعوا فى تحريك جيوشهم حاجة الميادين المختلفة ، مع التناسب فى الأعداد حسب خطورة المهمة المكلفة بها . .

ولقد عرف المسلمون الحذر والحيلة عند تحركهم ، وقال المؤرخون « كان خالد لايسير إلا على تعبئة » كناية عن الحذر والحيلة والاستعداد الدائم لمواجهة الأعداء .

إعداد القادة :

كان يتم اختيار القادة من أفضل العسكريين ثقافة وإيماناً وتدريباً وأكثرهم علماً وأوسعهم أفقاً ليضمن النصر على العدو . ففى غزوة خيبر لما ابطأ الفتح ، طلب الرسول ﷺ علي بن أبى طالب وسلمه الراية ليكون أمير الجيش بعده ففتح الله عليهم بسبب شجاعته وحسن قيادته للجيش ودرايته الحربية .

الإعداد الروحى للقتال :

كان الرسول ﷺ يختار صفوة من الخطباء والوعاظ المؤثرين ليذكروا الجنود بفضل الجهاد فى سبيل الله ، وما أعدّه الله للمجاهدين من كريم الأجر وعظيم الجزاء ، وبفضل الاستشهاد ومنزلة الشهداء فى الجنة بأسلوب مشوق ومؤثر وجذاب .

الإعداد الإدارى :

كان يتم تخزين الأقوات اللازمة للجيش وعناصره ، وتوضع فى أماكن بعيدة عن العدو قبل المعركة بفترة كئود من الإعداد الإدارى للقتال .

رباط الخيل :

كان المسلمون يهتمون بتحسين الحدود والثغور ووضع الرجال الشجعان ذوى الدين المتين والثقافة الحربية الممتازة لحراستها فإنها ذات خطر على أمن الدولة ، والمرابطون فيها لهم أجر عظيم كما قال ﷺ

« رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها »

وكان ولى الأمر دائم الاتصال بهؤلاء ليتعرف منهم على أخبار العدو لقربهم منه . وكان بعض أولى الأمر يقول لحاجبه « لا تحجب عنى رسول الثغر وإن كنت نائماً فأيقظنى » .

وكان من المبادئ التى وصفها عمر بن الخطاب لجنده ألا يقيموا داخل المدن التى

فتحوها وأن يظلوا في ضواحيها خشية أن يظلموا أهلها إذا اختلطوا بهم ، ونظّل طباعهم العربية نقية سليمة من الشوائب . ولما اتسعت الفتوح أعدت مدن لإقامتهم وروعى فيها أن تكون مراكز حربية في مواقع استراتيجية على الحدود بينه وبين البلاد المفتوحة لرد العدوان وسميت بالثغور . . مثل البصرة والكوفة وعلى سواحل مصر والشام ، ثم تطورت الثغور وشحنت بالجنود وتولى أمرها أكفأ القادة . وكان يقيم فيها الجنود وعائلاتهم ، وترسل منها الدوريات للحصول على المعلومات عن الأعداء ، ولتدريب الجنود على القتال العملى فى الأراضى المختلفة لتزداد خبرتهم الحربية .

إعداد وسائل الدفاع :

أول من استخدم الخنادق والحصون من العرب هو الرسول ﷺ فى غزوة الأحزاب ، ولما اتسعت الفتوحات وكثرت الجيوش الموجهة شرقا وغربا ، كان لابد من العناية بالتحصينات لمنع المفاجأة ، فحصنوا المدن التى أقيمت فى مراكز استراتيجية مهمة . .

وفى الجانب الآخر أعد القادة المسلمون العدة لاجتياز خنادق الأعداء وفتحت أمامهم سبل الحيل فسـى التغلب عليها وعرفوا طرق عبورها ، كما استخدم المسلمون الحسك الشائك (وهو نبات ذو شوك ينمو فى بلاد العرب) فى حروبهم وفى تحصين الخنادق والحصون ، ويقال إن العرب أجادوا ذلك النوع من وسائل الدفاع وصار الحسك عندهم أداة تستخدم فى عرقلة تقدم قوات العدو على الطرق المحتملة لتقدمه .

معرفة العدو :

جرت العادة قبل خوض المعارك أن يهين القائد الأذهان إليها ولكنه يكتفى عن جنوده سرها كما يحاول معرفة الكثير من أسرار عدوه ومدى استعدادده وقدرته لتكون المفاجأة كاملة وقاطعة . وقد أمر الرسول القائد ﷺ زيدا بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود وكتابتهم فتعلمها ؛ إذ أن معرفة لغة العدو تخدم صاحبها فى الحرب أجل الخدمات ، وكان عمرو بن العاص فى حروبه مع الروم يحتفظ بطائفة من رجال المخابرات يتكلمون الرومية ، فكان يرسلهم إلى الروم متنكرين فيقيمون بينهم ويعودون إليه بأخبارهم واشترط فيهم الأمانة وحفظ السر .

أدب الحرب :

وكان المسلمون وهم في مكة مكفوفين عن دفع الظلم بالقتال ، وكان هذا الكف لحكمة قدرها الله سبحانه وتعالى وهي تطويع نفوس المؤمنين من العرب للصبر امتثالاً للأمر وخضوعاً للقيادة وانتظاراً للإذن ، وقد كانوا في الجاهلية شديدي الحماس يستجيبون لأول دعوة ولا يصبرون على الضيم . . فبناء الأمة الإسلامية التي تنهض بالدور العظيم الذي نيطت به هذه الأمة يقتضى ضبط هذه الصفات النفسية وتطويعها لقيادة تقدر وتدبر وتطوع في كل الأمور حتى ولو كانت هذه الطاعة على حساب الأعصاب التي تعودت الاندفاع والحماسة عند أول داع ، ومن ثم استطاع رجال من أمثال عمر بن الخطاب في حميته ، وحمزة بن عبد المطلب في فتوته ، وأمثالهما من أشداء المؤمنين الأوائل أن يصبروا على الضيم الذي يصيب الفئة المسلمة وأن يربطوا على أعصابهم في انتظار أمر الرسول القائد ﷺ وهو يقول لهم :

« كفوا أيديكم وقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ..

ومن ثم وقع التوازن بين الإندفاع والتروى والحماسة والتدبر والحمية والطاعة في هذه النفوس التي كانت تُعدّ لأمر عظيم . . وهذه هي مهمة القيادة الراشدة للبشرية ، وإقراراً لمنهج الله في الأرض في صورته المثالية الواقعية .

الفصل الثالث

إعداد القوى اليهودية

قامت الدولة الإسلامية فى أول عهدها فى المدينة المنورة فى القرن السابع الميلادى ، ثم اتسع نطاقها لتشمل كل أرجاء الجزيرة العربية قبيل وفاة الرسول محمد ﷺ ، وكان اليهود هم أول من اصطدم بالدعوة الإسلامية فى يثرب (المدينة المنورة) نظراً لمركزهم الممتاز فى يثرب وأنهم يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وخوفاً من عزلتهم عن المجتمع ، الذى كانوا يزاولون فيه القيادة الفعلية والتجارة الربحة والربا الفاحش . وازداد عداؤ اليهود لهذه الدولة الفتية حينما شهدوا تضاعف عدد المسلمين وانتشار الإسلام فبدأوا فى إعداد القوى لهدم الوحدة الاجتماعية الجديدة فى ثلاثة اتجاهات :

- محاولة إثارة البغضاء بين فريقى المسلمين المهاجرين والأنصار

- إعلانهم تأييد قريش وحرصوها على غزو المدينة وقتال المسلمين

- تحالف اليهود أيضاً مع المنافقين فى المدينة للكيد للجماعة الإسلامية

وانتهت مرحلة الصراع السلبى لتبدأ مرحلة أخرى إيجابية حين حاولوا اغتيال النبى ﷺ مرتين واحاطت العناية الإلهية بالرسول الأمين ، ثم حرّض اليهود المشركين على قتال المسلمين واستنصروا الأحزاب عليهم ، ونقضوا عهودهم للمسلمين .

العقيدة الإسرائيلية :

إن أبرز طابع يطبع العقيدة الإسرائيلية قديماً وحديثاً هو ذلك الرباط الوثيق بين حرب إسرائيل ورب إسرائيل فالحرب ؛ فى عقيدة بنى إسرائيل عمل مقدس ففائد هذه الحرب فى زعمهم هو رب إسرائيل وجنودها هم جنود هذا الرب ، ويظهر ذلك فى كثير من نصوص التوراة المعروفة .

وقد أعلن حاخام الجيش الإسرائيلي موشيه جورين أن الحروب الثلاث التي جرت بين العرب وإسرائيل في سنوات ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ هي في منزلة الحرب المقدسة فأولها حرب لتحرير أرض إسرائيل ، والثانية كانت لضمان استمرار دولة إسرائيل ، أما الثالثة فقد كانت تحقيقاً لنبوءات أنبياء إسرائيل . هكذا صرح الحاخام المذكور عن الحروب الثلاث ، لكنه لم يفصح عن رأيه في حرب (أكتوبر ١٩٧٣) وماذا حققت لإسرائيل ؟!

الخدمة العسكرية في إسرائيل :

تعتبر التوراة الخدمة العسكرية فرضاً على كل شاب يهودي بلغ العشرين من عمره حتى الخمسين . ويوجد مع كل وحدة إسرائيلية كاهن يقوى قلب الجندي ويشير في نفسه الشجاعة حتى لا توسوس له نفسه الهرب أو التراجع . وفي التلمود أكثر ممن موقع يقول « التراجع بداية الهزيمة » .

إعداد القوى بالحصون والأبراج :

لما كان اليهود مكروهين منبذين وكتب الله عليهم الذلة والمسكنة ، فقد عاشوا في قرى محصنة للدفاع عن أنفسهم ، واتخذوا الحصون والمخابئ في شقوق الجبال والمغارات للحياة فيها ويقول صمويل النبی :
« ولما رأى رجال إسرائيل أنهم في ضنك لأن الشعب تعذب اختبأ الشعب في المغارات والأحراش والصخور والأبراج والحفر » .

وأقام اليهود في يثرب (المدينة المنورة) الحصون (القصور العالية ذات الأبواب) وكان اليهود يجتمعون فيها وكثيراً ما حاصروهم الرسول القائد محمد ﷺ فيها كما حاصر قبيلة ثقيف في حصونهم في الطائف ، وفتح حصون خيبر السبعة . ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية وأسس المسلمون المدن المختلفة متاخمة للأعداء ، عملوا على تحصينها ببناء الأسوار والأبراج كما حصنوها بالحنادق .

وأنشأ اليهود قرى محصنة احتياطية للهروب إليها واللجوء فيها في حالة ما إذا تمكن العدو من محاصرة المدن الامامية أو الاستيلاء عليها ، كما أقاموا الأبراج على أسوار المدن وفي المزارع لحراسة المحاصيل وتختلف ارتفاعها وعرضها ، وقد أخذ اليهود فكرتها من برج

بابل الشهير . كما استخدمت الأبراج كوسيلة من وسائل التحصينات والمراقبة واستطلاع طرق تقدم القوافل ، ومراقبة الجيوش المغيرة وتحركاتها .

الجدر :

استخدم اليهود السد الترايى لمنع الأعداء من التقدم . وجاء ذكرها فى التوراة وليست الجدر هى السدود الترابية فقط ولكن هناك جدرًا معنوية وجدرًا مادية وجدرًا سياسية وجدرًا اقتصادية حتى الحجر يستخدمه اليهود لسلامة حوله ، إلى أن يجئ اليوم الذى يقول فيه الحجر للمسلم « احذر فإن وراثى يهوديًا » . والجدر المعنوية منها إشاعة الذعر والخوف كنوع من أنواع الحرب النفسية التى يلجأ إليها اليهود لنشر الذعر بين السكان الآمنين لتخويفهم وإرهابهم .

والجدر المادية كثيرة منها كما سبق القول السواتر الترابية أو الأسوار الصناعية من التين الشوكى ، أو الدروع مثل السدبابات والمصفحات ، أو ستائر الدخان ، أو الإحتماء بصديق قوى وحليف يسانده وهو يعمل خلفه ، أو جدر الظلم ... إلخ . وكانت جدر الحثب والمكر والتفاد سلاحًا مهمًا لهم فى إعداد القوى بخداع الغافلين من العرب والمسلمين بهدف تحطيم العقيدة وزعزعتها فى نفوسهم .

الطرق وأهميتها فى إعداد القوى :

كانت القوافل الآتية من بلاد العرب يمر بعضها داخل فلسطين متجهة إلى ساحل البحر المتوسط ، وقد اهتم الملك سليمان عليه السلام بإصلاح الطرق التى كانت تسلكها هذه القوافل مقابل ضرائب ورسوم لمرور تلك القوافل . وأهم الطرق هى :

- طريق القوافل بين مصر وفلسطين
- طريق يافا وأورشليم (بيت المقدس)
- طريق من اليمن إلى صور وصيدا
- طريق الساحل من غزة إلى صفد ثم إلى دمشق فى سوريا
- طريق القدس إلى السامرة . . إلخ .

وبالطبع اهتم الإسرائيليون بإنشاء الطرق وإعدادها لربط المدن ببعضها البعض ، وتسهيل وصول الحجاج إلى بيت المقدس مع خدمة النواحي الحربية كما أنها كانت مورداً مالياً مهماً لهم .

تعليق :

هكذا وقف اليهود من الدعوة الإسلامية هذا الموقف الذى يصفه القرآن الكريم فى تفصيل دقيق . . . وكانت معجزة القرآن الخالدة أن صفتهم التى دمنهم بها هى الصفة الملازمة لهم فى كل أجيالهم من قبل الإسلام إلى يومنا هذا . ومن ثم تبقى كلمات القرآن حية كأنما تواجه موقف الأمة العربية اليوم وموقف اليهود منها . . . وهذه الكلمات الخالدة هى التنبية الحاضر والتحذير الدائم للأمة العربية والإسلامية تجاه أعدائها الدين واجهوا أسلافها بما تواجهه اليوم من دس وكيد وحرب متنوعة المظاهر متحدة الحقيقة . وعلينا أن نعتبر بهذا ونتفهم آيات القرآن الكريم تفهما صادقا ونعمل به وليكن هدف العرب جميعا والمسلمون خاصة هو التجمع والوحدة والترابط ، فهذا يستحيل على اليهود الانتصار عليهم

﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
 سورة الحشر / ١٤

وقد ظن اليهود أن هذه الحصون والجدر التى يحتمون خلفها ستمنع الله وجنوده من الوصول إليهم أو تهديدهم . وكما ظنوا فى الماضى ظنوا أيضاً فى الحاضر فأقاموا حصون خط بارليف على طول الضفة الشرقية لقناة السويس ، وشادوا السواتر الترابية العالية مع جدر الخوف والرعب مع الأبراج الكثيرة الحصينة والطرق والمدفقات الجيدة التى تربط الحصون ببعضها البعض وتربط الحصون بالاحتياطيات التى أعدت لها طرق الاقتراب وسواتر إطلاق النيران وغيرها ، حتى استخدام النيران فى مياه القناة عند هجوم أعدائهم واعتمادهم أيضاً على كفاءة قادتهم وحسن اختيارهم وتدريبهم وقدرة طائراتهم وقدرة مخابراتهم ورسائل الحصول على المعلومات ، وكل دعائم القوة ورباط الخيل التى استطاعوا تجهيزها والإعداد لها كل هذا أعطاهم الثقة فى قدرتهم وقوتهم وأن أقوى جيوش العالم قدرة لن تستطيع قتالهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى أوصانا بمفاجأتهم وإحداث الدعر بينهم ، فهذا يتحقق نصرنا عليهم . .

﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ يَوْمَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾
 صدق الله العظيم
 سورة الحشر آية ٢

وقد تحقق كل ذلك نصراً وروحاً فى حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣) والشكر لله .

الفصل الرابع

فن الحرب فى مدرسة الرسول القائد

ما أعظم الفارق فى أسلوب القتال وأدب الحرب بين أيام العرب فى الجاهلية وبينها فى مدرسة الرسول ﷺ ، الذى أنزل الله سبحانه وتعالى فى شأنها ٩٦ آية فى تنظيم الجهاد وأساليبه وآدابه ضمّتها عشرين سورة كريمة ، أطولهن التوبة التى حوت ٢٨ آية فى الجهاد .

ومما يلفت النظر تطابق عدد جيش الرسول فى غزوة بدر الكبرى على عدد جيش نبي الله جـدعون ، الذى بقى معه بعد أن تخلف عنه من شرب من النهر حتى ارتوى ثم قال له « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » ، فقد كان عدد من خاض المعركة فى كلتا الحالتين ٣١٣ فرداً ، وهو نفس العدد المتواتر عن الرسل .

ومنذ فجر الإسلام حتى أعيد تنظيم الجيش على عهد الخليفة الأموى مروان الثانى (٧٤٤ - ٧٥٠ ميلادية) ، ظل الجيش يتكون من خمسة أقسام يقال لها الخميس ، وهى القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والساقة .

وقد أبقى الرسول القائد على الوحدة القبلية فى جيش صدر الإسلام ، فكانت كل قبيلة تقاتل فى قسم من الجيش ليستنهض نخوتها فتصون رايها . . . وكان للفرسان شأن عظيم فى المعارك نظراً لخفة حركتهم ومضاء رماحهم ، بينما ظل سلاح المترجلين القوس والنشاب ، أو الدرع والسيف الذى كانت له عدّة طرز .

وتجاوز عدد الجيش فى آخر غزوات الرسول القائد الإثنى عشر ألف صحابى فى معركة تبوك ، وهو نفس العدد الذى بقى مع نبي الله موسى ، بعد أن قال له القاعدون « إذهب أنت وربك فقاتلا » .

وقد رتب الرسول ﷺ هذا الجيش المرمم فى أجناد - أى فى كتائب ، ثم أمر الفاروق عمر بن الخطاب رضيه الله عنه بعد أن فتح الله على المسلمين الأمصار ، وانتشرت كلمة

التوحيد فى مشارق الأرض ومغاربها أن تقيم كل كتيبة فى موضعها بشجر من الشجر ، فانتشر المجاهدون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بين الفسطاط والإسكندرية فى مصر والجابية وطبرية وحمص فى الشام ، والبصرة والكوفة فى العراق . ولم يكن لهم من عمل فيها غير التدريب على القتال والتمرس بفنون الحرب والدفاع عن ثغور الإسلام . (رباط الخيل) .

وراح جيش صدر الإسلام يكتسب تدريجياً صنعة الحرب ، ليتحول فى نهاية الدولة الأموية من نظام الخميس إلى نظام الكراديس ، عندما اتخذ التجنيد الاجبارى الذى أكسب الجيش الكثير من القدرة والخبرة وقوة الشكمة .

لقد فرض الرسول ﷺ أن يبدأ القتال بأمر يصدر عن قائد الجيش ، يتبعه على الفور التكبير والدعاء الكثير . وكانت العادة أيضاً أن تعزّر المعنويات بتلاوة آيات الذكر الحكيم التى تحض على الجهاد وتبشّر بالجنة . كما كانت تنشد القصائد الحماسية ، وتلقى الخطب لإثارة الحمية والشجاعة والنخوة والاعتماد على نصر الله ، ثم تستمر تلاوة القرآن عندما يحمى الوطيس ويلتحم الجمع وتتطاير الرؤوس والأطراف .

وفى الغزوات الأولى كان المجاهدون يشرعون فى القتال بأن يتقدموا الصفوف نحو العدو ، طالبين النزال والتحدى بالمبارزة التى قد تستغرق بضع ساعات من وجه النهار . وبعد أن تثور الهمم تلتحم الجيوش ويبدأ الكر والفر - أى الهجوم المباغت - بكامل الجيش على العدو ثم التراجع بسرعة .

وكانت تلك المناورة التى تعتمد على خفة الحركة وقوة الصدمة تتكرر طوال المعركة حتى تقع فى العدو الخسائر التى تشيع الاضطراب فى صفوفه ، فيبدأ دور الفرسان فى حسم المعركة بمناورات التطويق التى تهدف إلى الالتفاف على أجانب العدو وتهديد مؤخرته التى تشكل مقتله .

ولم يكن التفوق النوعى لجيش صدر الإسلام يعود إلى السلاح الأفضل أو اللياقة البدنية الأقوى ، وإنما إلى المعنويات العالية التى أسهم الدين فى رفعها ، إلى جانب قدرة العرب العالية على الاحتمال ، ومواصلة السير لمسافات شاسعة بأقل الزاد والماء .

كما لم يكن هدف سرايا الرسول وغزواته مجرد إحراز النصر أو الاستيلاء على الأرض أو الغنائم بل تأدية فريضة الجهاد بنشر كلمة التوحيد . ولذلك كان يوصى المجاهدين بالآ

يهرقوا دم من لم يرفع عليهم السيف ، وأن يتركوا الطفل والشيخ والمرأة ، وأن يستجنبوا تدمير الممتلكات أو الزروع أو البيوت أو المواشى والغنم .

ونهى الرسول ﷺ أن تحمل رؤوس قتلى الاعداء على أسنة الرماح ، كما كانت عادة العرب قبل الإسلام ، أو أن تستخدم السهام المسمومة .

وعندما يتحقق النصر كان الاعداء يخبرون بين الإسلام أو تأدية الجزية وبهذا وحد الرسول القائد الأمة الإسلامية تحت راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » التى حررت فيما لا يتجاوز ٢٣ سنة - هى مدة البعثة - كل الجزيرة العربية ونشرت العدالة الاجتماعية بأن « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » ، فأعادت للإنسان قيمته وكرامته -

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْأَحْمَرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ - صدق الله العظيم { الاسراء / ٧٠ } .

وكانت كل غزوات الرسول ﷺ وسراياه من نوع الحروب العادلة ، التى تهدف إلى إزالة الظلم والاستبداد ، والقضاء على البنيان الاجتماعى المتخلف ، و مناجزة الكفر والإلحاد .

ولم يشن الرسول القائد حرباً عدوانياً قط ، بل قاتل دهاقنة مشركى قريش لأنهم كانوا يمثلون الطبقة المستغلة فى المجتمع ، ولأنهم سعوا إلى القضاء على الدعوة ، وقتل الرسول ، ونشر الشرك والفساد فى الأرض .

كما قاتل اليهود لتقصهم اليهود ، ولأنهم كانوا يمثلون الوجه المستغل فى المجتمع العربى . وقاتل الروم لإجلائهم عن أطراف الجزيرة العربية ، ولأنهم ليسوا أصحاب البلاد بل جاءوها غزاة مستعمرين .

ولأن الصحابة كانوا يوقنون بعدالة الحرب ، فقد اجترحوا المعجزات بفضل قوة الإيمان الذى غرسه نبيهم فى نفوسهم ، واقتناعهم بأنهم يقاتلون فى سبيل مثل عليا ، وأنهم متصرون لامحالة لأن الله معهم ، والملائكة تقاتل من حولهم .

واهتمت مدرسة الرسول ﷺ بالتحريض على القتال لرفع المعنويات ، وإذكاء شعلة الحماس فى النفوس ، والرغبة العارمة فى لقاء العدو وقهره مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حُرُوسًا عَلَى الْقِتَالِ ﴾ { الانفال / ٦٥ } .

ولقد قال الرسول يوم بدر « والذي نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » . صدق رسول الله ﷺ وقد اهتم الرسول القائد بالتدريب والجاهزية للقتال ، وأولاهما عناية خاصة . وكان القوس هو السلاح الرئيسى فى صدر الإسلام ، ولهذا كثرت أحاديث الرسول عن الرماية والرمي ، ونبالة العدو .

فمما يروى عنه أنه مر بموضع به بعض صحابته يتمرنون على الرمي ، فترع نعليه ومشى إليهم حافياً وهو يقول : « هذه روضة من رياض الجنة » ، ولم يقتصر تدريب الرسول لجيشه على فصل من فصول السنة ، بل أعد للقتال تحت أسوأ الظروف ، ولقد نعى الله الذين قعدوا معتذرين بالحر فقال لهم سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ نَارِحَهُمْ أَشَدَّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ صدق الله العظيم . [سورة التوبة ٨١]

وقال رسول الله « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله » .

وكان بعض صحابته ﷺ يتدربون على الرمي فقل لهم قد حضرت الصلاة فقال الرسول « هم فى صلاة » .

ودعا الرسول القائد إلى وحدة الصف فى المعركة لكونها السبيل إلى النصر مستشهداً بقوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ ﴾ صدق الله العظيم . [سورة الصف ٤]

وفيما يتعلّق بالشباب فى وجه الأعداء غرس الرسول فى وجدان صحابته الاستهانة بالموت ، فلم يسبق لقائد قبله أو بعده أن دفع جنوده إلى الموت وهم مستبشرون بوعده سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[سورة التوبة ١١١]

وكانت توجيهات القتال تخرج فى وضوح تام من الرسول القائد إلى جنوده ، ففى غزوة أحد أصدر تعليماته المشدّده للرماة « ألا تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبال ، فإن الخيل لا تقدم على النبل » .

وما أمر الرسول القائد أميراً على جيش أو سرية إلا وأوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين ثم قال لهم جميعاً :

« أغزوا باسم الله وفي سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً . وإذا لقيتم العدو من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم . . . أدعهم إلى الإسلام فإن أبوا فسلهم الجزية ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

وكان الرسول القائد يترك المبادأة بيد قادة جيوشه وسراياه يتصرفون حسبما يقتضيه الموقف . وقد استخدم الرسول الحرب النفسية في أغلب غزواته وسراياه حتى أنه قال « نصرت بالرعب » وقد تجلّى ذلك على أوضح صورة في فتح مكة دون أن يستخدم سلاحاً ، أو يراق كثير من الدماء .

وقد طبق الرسول القائد شكل الحرب الوقائية في غزوة تبوك إذ رغم عدم حدوث صدام فعلي بين جيشه وجيش الروم ، فإن زحفه إلى عقر دارهم هو الذي دفع هرقل إلى الانسحاب إلى حمص ، وذلك مثل فريد لاستراتيجية الاقتراب غير المباشر الذي نادى به فلاسفة الحرب في مطلع القرن العشرين ، وحقق به مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية انتصاراتهم التي أذهلت العالمين .

وكان الرسول القائد يتولى القيادة بنفسه في كل الغزوات التي خاضها والتي بلغت سبعمائة وعشرين ، وفي غالبية المواقف الحرجة كان يتقدم الصفوف بشجاعة تفوق حد الوصف على نحو ما حدث في غزوة حنين عندما تقهقر الجيش وثبت الرسول على بغلته الشهباء في وجه الأعداء وهو يقول « أنا الرسول لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » وعمه العباس ممسك بخطام البغلة وهو يصيح « يا أصحاب البيعة هلم » .

ومعيار القيادة عند رسول الله ﷺ شرطان هما جماع الشروط ، الأول هو الكفاءة ، والثاني هو محبة الجنود . وفي ذلك قال الرسول القائد « أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس فعلم أن في العشرة من هو أفضل ممن استعمل فقد غش الله ، وغش رسوله ، وغش جماعة المؤمنين » .

وكانت المدينة المنورة القاعدة الآمنة للدعوة ، انطلقت منها السرايا والغزوات لتعلى كلمة التوحيد ، ثم تعود إلى قاعدتها الآمنة مجبورة منصوره .

وبين دهشة وذهول مؤرخي سير عظماء القادة يخرج لنا والفريد فريمان مؤلف كتاب « فتوحات العرب » بقوله « سواء أسمىتموه نبيا » أو مصلحا أو أى شىء آخر فإن راعى الإبل الذى هاجر من مكة إلى المدينة لا يصحبه إلا رجل واحد ، يفوق أى إنسان آخر عرفه التاريخ . فليس ثمة رجل يمكن أن نعزو إليه كل تلك الآثار العظيمة والرفيعة مثلما ترك محمداً من آثار ظلت خالدة على مر السنين » .

وكانت لمدرسة الرسول الغلبة على أعظم امبراطوريتين عرفهما التاريخ على عهده . ويشبه أحد فلاسفة الحرب المعاصرين ذلك بأن تقوم جيوش دولة صغرى فى عالم اليوم فتقضى على حلفى الاطلسى ووارسو فيما لا يتجاوز الحقتين من الزمان .

ولسوف يظل صوت سيف الله المسلول ، خالد بن الوليد ، يجلجل وهو يقول لجيوش الكفرة والمشركين « إنى والله قد أتيتكم يقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة » .

وهكذا كانت جولات الإسلام التى تعهدتها مدرسة الرسول القائد ، والتى نشرت نور الإسلام فى الأرض ، وبهذا كانت العزة لجيوش المسلمين مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ صدق الله العظيم . [سورة الانفال ١١٥]

ملحق (١)

نموذج من إعداد القوى ورباط الخيل في معركة احد

تنظيم القتال في الإسلام :

١ - تقوية المعنويات بمحاربة عوامل الضعف ونزعات الخوف ، وغرس الشجاعة والتضحية والاستهانة بزخرف الحياة في سبيل الحق ونصرته .

٢ - إعداد القوة المادية

القوة تتناول العدد والسعة والحشد وإعداد آلات الحرب ووسائل القتال وموارد التمويل وكل النواحي الإدارية والفنية .

أما الرباط فهو تحصين الحدود والثغور والأماكن الضعيفة أمام العدو ، وتهيئة القوة الكامنة فيها لحمايتها .

التطبيق العملي لتنظيم القتال في الإسلام (معركة احد)

سيطر المسلمون على الطرق التجارية المؤدية إلى الشام وإلى العراق سيطرة تامة ومنعوا قوافل قريش من سلوك هاتين الطريقين ، فلم يبق أمام قريش إلا التجارة مع الحبشة وهي تجارة غير رابحة بالنسبة للتجارة مع الشام وبذلك حلت بتجارة قريش نكبة قاضية ، كما سيطر المسلمون على المدينة وجعلوا منها قاعدة أمينة لدعوتهم وحركاتهم العسكرية المقبلة .

كما حرصت قريش بعد هزيمتها في بدر على الأخذ بالثأر وصممت على الاستعداد عسكريا لاستعادة كرامتها وشرفها ..

رغم هزيمة المسلمين في أحد فلم يستطع المشركون القضاء عليهم سواء مادياً أو معنوياً . إن حركة خالد بن الوليد كانت مباغتة للمسلمين ، وقيام المشركين بالهجوم المقابل وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب وهم متفوقين بالعدد إلى خمسة أمثال المسلمين ، كان يجب أن تكون نتائجه القضاء المبرم على كافة قوات المسلمين ولكن هذا لم يحدث .. فلا تقاس نتيجة المعركة في الناحية العسكرية بعدد الخسائر في الأرواح فقط ، بل تقاس أيضاً بالحصول على هدف القتال الحيوى ، وهو القضاء المبرم على العدو مادياً ومعنوياً .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً ؟

أما أهم أسباب هزيمة المسلمين فى أحد فهى :

- ١ - لم يقم المسلمون بالمطارده وتعقب القوات المعادية المنسحبه لإيقاع الخسائر بهم وقلب انسحابهم إلى هزيمة بل انشغلوا بالغنائم .
- ٢ - مخالفة الرماة وترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم .
- ٣ - نجاح خالد بن الوليد فى مباغته المسلمين بالالتفاف وراءهم فارتبكت صفوفهم وتزعزعت معنوياتهم .

إلا أن نجاح المسلمين فى الخروج من تطويق المشركين بخسائر عشرة بالمائة من قواتهم القليلة يعتبر نصراً لهم كما نجح المسلمون فى معرفة المنافقين بين صفوفهم قبل المعركة وبعدها ، مما أتاح للقائد تطهير الصفوف بعد أحد على هدى وبصيرة .

اليهود فى القرآن :

لقد كان اليهود هم أول من اصطدم بالدعوة فى المدينة ، وكان لهذا الاصطدام أسبابه الكثيرة كان لليهود فى يثرب مركزاً ممتازاً لكونهم أهل كتاب بين الأميين من العرب - الأوس والخزرج - ومع أن مشركى العرب لم يظهروا ميلاً لاعتناق ديانة أهل الكتاب هؤلاء ، إلا أنهم كانوا يعدونهم أعلم منهم وأحكم بسبب مالديهم من علم فى هذا الكتاب . .

ثم كان هنالك ظرف موات لليهود بما بين الأوس والخزرج من فرقة وخصام - وهى البيئة التى يجد اليهود دائماً لهم فيها عملاً !! فلما أن جاء الإسلام سلبهم هذه المزايا جميعاً فلقد جاء بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ثم أنه أزال الفرقة التى كانوا ينفذون من خلالها للدس والكيد وكسب المغائم ووجد الصف الإسلامى الذى ضم الأوس والخزرج ، وقد أصبحوا منذ اليوم يعرفون بالأنصار ، والمهاجرين ، وألف منهم جميعاً ذلك المجتمع المسلم المتضامن المتراص الذى لم تعهد له البشرية من قبل ولا من بعد نظيراً على الإطلاق .

ولقد كان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأن فيهم الرسالة والكتاب فكانوا يتطلعون أن يكون الرسول الأخير فيهم كما توقعوا دائماً ، فلما أن جاء من العرب ظلوا يتوقعون أن يعتبرهم خارج نطاق دعوته وأن بقصر الدعوة على الأميين من العرب ! . فلما

وجدوه يدعوههم - أول من يدعو - إلى كتاب الله - بحكم أنهم أعرف به من الكفار - وأجدر بالاستجابة له من المشركين أخذتهم العزة بالإثم وعدوا توجيه الدعوة إليهم إهانة واستطالة .

ثم أنهم حسدوا النبى - ﷺ - حسداً شديدا حسدوه مرتين ، مرة لأن الله اختاره وأنزل عليه الكتاب - وهم لم يكونوا يشكون فى صحته - وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع فى محيط المدينة .

على أنه كان هناك سبب آخر لحقهم ولاتخاذهم موقف العداء من الإسلام والهجوم عليه منذ الأيام الأولى : ذلك هو شعورهم بالخطر من عزلتهم عن المجتمع المدنى الذى كانوا يزاولون فيه القيادة الذهنية والتجارة الرابحة والربا المضغف ! هذا أو يستجيبيوا للدعوة الجديدة ويدوبوا فى المجتمع الإسلامى وهما امران - فى تقديرهم - كلاهما مر !

لهذا كله وقف اليهود من الدعوة الإسلامية هذا الموقف الذى يصفه القرآن الكريم فى تفصيل دقيق ..

وكانت معجزة القرآن الخالدة أن وصفهم بالصفة التى لازمتهم فى كل أجيالهم من قبل الإسلام وإلى يومنا هذا .. مما جعل القرآن يخاطبهم - فى عهد النبى ﷺ - كما لو كانوا هم أنفسهم الذين كانوا على عهد موسى - عليه السلام - وعلى عهود خلفائه من أنبيائهم باعتبارهم جبلة واحدة سماتهم هى هى ودورهم هو هو وموقفهم من الحق والخلق على مدار الزمن !!

ومن ثم تبقى كلمات القرآن حية كأنما تواجه موقف الأمة المسلمة اليوم وموقف اليهود منها .. وكان هذه الكلمات الخالدة هى التنبيه الحاضر والتحذير الدائم للأمة العربية تجاه أعدائها الذين واجهوا أسلافها بما يواجهونه اليوم من دس وكيد وحرب متنوعة المظاهر أحادية الهدف !

ومن خلال جولة فى سورة البقرة نرسم صورة واضحة لاستقبال بنى إسرائيل للإسلام ورسوله وكتابه ، لقد كانوا أول كافر به وكانوا يلبسون الحق بالباطل وكانوا يأمرؤن الناس بالبر - وهو الإيمان - وينسون أنفسهم

وكانوا يسمعون من كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ، وكانوا يخادعون الذين آمنوا بإظهار الإيمان وإذ خلا بعضهم إلى بعض حذر بعضهم بعضاً من إطلاع المسلمين على ما يعلمونه من أمر النبي وصحة رسالته ! وكانوا يريدون أن يردوا المسلمين كفاراً . . . وكانوا يدعون من أجل هذا أن المهتدين هم اليهود وحدهم كما كان النصارى يدعون هذا أيضاً !! وكانوا يعلنون عداوتهم لجبريل - عليه السلام - بما أنه هو الذي حمل الوحي إلى محمد لأنهم كانوا يكرهون كل خير للمسلمين ويتربصون بهم سوء . . . وكانوا ينتهزون كل فرصة للتشكيك^(١) في صحة الأوامر النبوية ومجيئها من عند الله تعالى - كما فعلوا عند تحويل القبلة - وكانوا مصدر إحاء وتوجيه للمنافقين ، كما كانوا مصدر تشجيع للمشركين . .

(١) هنا يتحدى القرآن الجميع إذ كان الخطاب إلى الناس جميعاً يهود ونصارى ومنافقين وغيرهم ، يتحداهم بتجربة واقعية تفصل في الأمر بلا محاجة .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ﴾ البقرة ٢٣ .

وظل هذا التحدى قائماً في عهد الرسول ﷺ وما بعده ، وما يزال قائماً إلى يومنا هذا . . .

أخلاق اليهود في القرآن الكريم

الذلة والمسكنة :

- ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبِأَمْرٍ لَوْ يَفْصَحُ مِنَ اللَّهِ لَشُدَّ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَالِيَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١١٢]
- ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَسْعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْسَمَةِ مِنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُمْ لَفُجَّوْرٌ رَجِيْمٌ ﴾ [سورة الأعراف ١٦٧ ، ١٦٨]

الكنب في اخطر القضايا واقدسها :

- ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ١١١]
- ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِعِطَافِ بُرُودِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا بُرُودَ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ٧٥]
- ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيكُم مَّا قَالُوا ﴾ [سورة عمران ١٨١]
- ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بَقَرَانِ تَأْكُلُهَا النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَالِئِنَّتِ وَيَالِئِذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران ١٨٣]
- ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَسْمَعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُورٍ وَكَتَابٍ ﴾ [سورة المائدة ٤١]
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ [سورة المائدة ١٨]
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُغْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [سورة المائدة ٦٤]

التمرد على الله ورسوله :

- ﴿ فِيمَا نَقُصُّهُمْ وَيَثْبُتُهُمْ لَمَنَّهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْيسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [سورة المائدة ١٣]

- ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالُوا مَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [سورة المائدة ٢٠]

الجدال والتضليل :

- ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة ٢٤٧]
- ﴿ وَلَا تَلْسِنُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٤٢]
- ﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَاهُوا مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَاهُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ٧٨]

النفاق والانتهازية :

- ﴿ الَّذِينَ يَرْتَابُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ فَالُوا لِمَنْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَالَهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء ١٤١]

حب الشر للناس :

- ﴿ إِنْ تَسْتَكْمِلُوا حَسَنَةَ نَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [سورة آل عمران ١٢٠]
- ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء ٥٤]
- ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة المائدة ٦٤]

التكالب على المادة ولو من طريق غير شريف :

- ﴿ فِطْرِينَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَا عَلَيْهِمْ طِبَّتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَيَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هَوَّاهُ وَأَكْلَهُمْ آمُولَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[سورة النساء ١٦٠ ، ١٦١]

نقضهم العهود :

- ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا وَعَهْدًا بَيْنَهُمْ قَبِيحٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة ١٠٠]
- ﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنفال ١٥٦]

انعدام الضمير والجهر بالمنكرات :

- ﴿ لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩]

- ﴿ وَرَبَّى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْأَسْرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[المائدة / ٦٢]

الجبن حيث لا يستطيعون المواجهة :

- ﴿ لَأَن تَرَوْا شِدْقَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يَقْنِطُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

[سورة الحشر ١٣ ، ١٤]

- ﴿ وَلَنَحْنُ نُهُمُ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ ﴾ [سورة البقرة ٩٦]

تحريفهم للكتب المقدسة :

- ﴿ وَبِئْسَ لِلَّذِينَ يُكَلِّبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

[سورة البقرة ٧٩]

أخوة الجهاد

هل لليهود بمصر من أنصار	نشر اليهود سمومهم وتعسفوا
أين البيان وصائب الأفكار	يا معشر الأبطال أين جهادكم
بنيان أخلاق بغير جدار	أيهم عبث وليس يهمكم
نبأ يهز ضمائر الأحرار	عندى على ضميم السرائر بينكم
والعلم بعض فوائد الأسرار	مما علمت وما سمعت مسافرا
والريب من شفتيه عكس نهاري	من كل ذى سبعين تلفظ ريبه
قلب صغير الهم والأوطار	تأبى له فى الريب غير سفاهة
بر بأهل أو هو لى لديار	ما حله عطف ولا رفق ولا
دفعته راجفة إلى سمسار	مهما غدا أو راح فى جولاته
نقلت من الضارى إلى أبرار	أسفى على تلك المهازل كلها
وسلام مصر وريفها من نار	إن السلام على يهود جنة
بين الجبال وشاطئ محبار	وعلى المجالس فوق كل خميلة
مشبوبة بسياجها الفجار	جيش العسوبة ضد كل رزيلة
فمشاعل الأبطال ضوء نهار	وأسعد « سادات » العرب كل سعادة

ملحق (ج)

رجال حول الرسول القائد ﷺ

اسامة بن زيد الحب بن الحب

ابوه زيد بن حارثة خادم رسول الله الذي آثر الرسول على أبيه وأمه وأهله ، والذي وقف به النبي على جموع اصحابه يقول [أشهدكم ان زيدا هذا ابني يرثني وأرثه] وظل اسمه بين المسلمين زيد بن محمد حتى ابطل القرآن عادة التبني .

وكان أسامه « مالكا لكل الصفات العظيمة الستى تجعله قريبا من قلب رسول الله وكبيراً في عينيه » فهو من ابناء الإسلام الخنفاء الذين ولدوا فيه وتلقوا رضعاتهم الاولى من فطرته النقية ، دون أن يدركهم من غبار الجاهلية شيء . وهو على حداثة سنه مؤمن صلب ومسلم قوى يحمل كل تبعات إيمانه ودينه في ولاء متين وعزيمة قاهرة . وهو مُفرط في ذكائه مفرط في تواضعه ، ليس لتفانيه في سبيل الله ورسوله حدود .

وفي سن مبكرة لم تجاوز العشرين أمر الرسول اسامة بن زيد على جيش بين أفرادهِ وجنوده أبو بكر وعمر !! وسرت همهمة بين نفر من المسلمين تعاضهم الأمر واستكثروا على الفتى الشاب إمارة جيش فيه شيوخ الأنصار والمهاجرين وبلغ همسهم رسول الله ﷺ فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن بعض الناس يطعنون في إمارة اسامة بن زيد ولقد طعنوا في إمارة ابيه من قبل وان كان أبوه خليفاً للإمارة وإن أسامة خليف لها وإنه لمن أحب الناس إلى بعد ابيه وإنى لأرجو أن يكون من صالحكم فاستوصوا به خيرا » .

وتوفى رسول الله ﷺ قبل أن يتحرك الجيش إلى غايته ولكنه كان قد ترك وصيته الحكيمه لأصحابه

انفذوا بعث اسامه

انفذوا بعث اسامه

وعلى الرغم من الظروف الجديدة الى ترتبت على وفاة الرسول فإن الصديق أصرَّ على إنجاز وصيته وأمره ، فتحرك جيش أسامه إلى غايته . .

وبينما كان هرقل يتلقى خبر وفاة الرسول تلقى في نفس الوقت خبر الجيش الذي يُغير على تخوم الشام بقيادة أسامه بن زيد فحيره أن يكون المسلمون من القوة بحيث لا يؤثر موت رسولهم في خططهم ومقدرتهم .

وهكذا انكمش الروم ولم يعودوا يتخذون من حدود الشام نقط وثوب على مهد الإسلام في الجزيرة العربية وعاد الجيش بلا ضحايا وقالوا عن جيش أسامة ما رأينا جيشا أسلم من جيش أسامة

عمرو بن العاص محرر مصر من الرومان

مصر يوم أهلت عليها طلائع الإسلام كانت نهبا للرومان وكان أهلها يقاومون دون جدوى ولما دوت فوق مشارف بلادهم صيحات الكتائب المؤمنة الله أكبر الله أكبر سارعوا جميعا في زحام مجيد صوب الفجر الوافد ، وعانقوه واجدين فيه خلاصهم من قيصر ومن الرومان فقد فتح عمرو بن العاص ورجاله مصر وحرروها وأناروا لها الطريق إلى كلمات الله ومبادئ الإسلام ..

ولقد كان عمرو بن العاص حريصا على أن يباعد أهل مصر وأقباطها عن المعركة ليظل القتال محصورا بينه وبين جنود الرومان الذين يحتلون البلاد وينهبون خيراتها أهلها وقد تحدث إلى زعماء النصارى يومئذ وكبار أساقفتهم ، فقال :

« إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به وأنه ﷺ قد أدى رسالته ومضى بعد أن تركنا على الواضحة (أى الطريق الواضح المستقيم) وكان مما أمرنا به الإغذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا فهو مثا له مالنا وعليه ما علينا .. ومن لم يُجبنا إلى الإسلام عرضنا عليه الجزية (الضرائب) وبذلنا له الحماية والمنعة .

ولقد أخبرنا نبينا أن مصر ستفتح علينا وأوصانا بأهلها خيراً فقال عليه الصلاة والسلام

« ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم ذمةً ورحما »

فإن أجبتُمونا إلى ما ندعوكم إليه كانت لكم ذمةٌ إلى ذمة .

وتحت ثرى مصر التى عرفها عمرو بن العاص طريق الإسلام ثوى رفاقه ولا يزال مجلسه حيث كان يُعلّم ويقضى ويحكم قائما عبر القرون تحت سقف مسجده العتيق - جامع عمرو - أول مسجد فى مصر ذكر فيه اسم الله الواحد الأحد ، وأعلنت بين أرجائه ومن فوق منبره كلمات الله ومبادئ الإسلام ودوت فيه صيحات النشيد الإلهى

- لا إله إلا الله محمداً رسول الله -



1. Mural painting from the 19th century
2. Mural painting from the 19th century
3. Mural painting from the 19th century
4. Mural painting from the 19th century

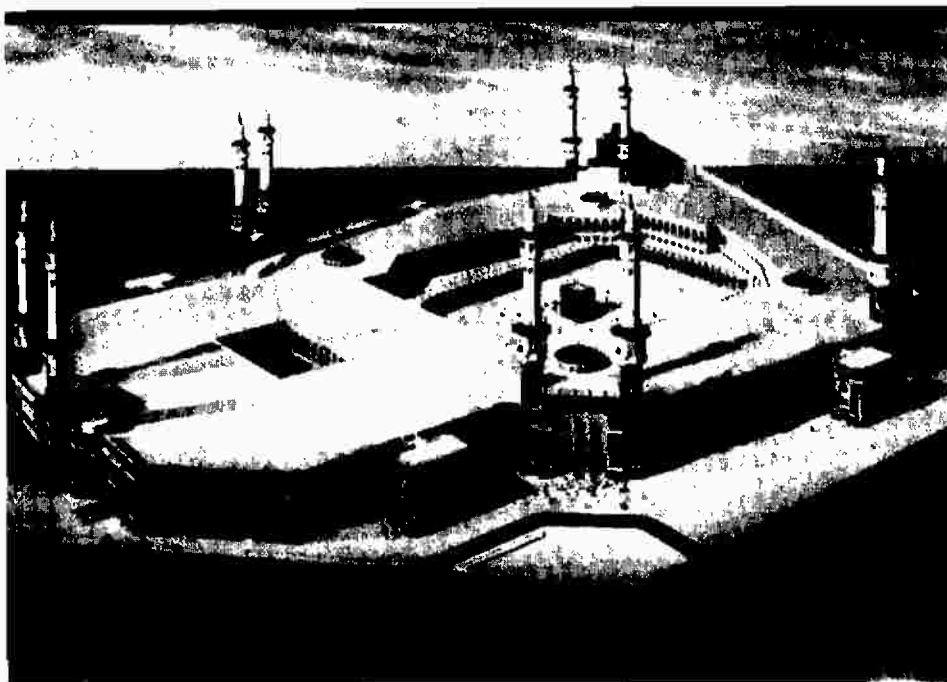
الفرسان والمشاة العرب



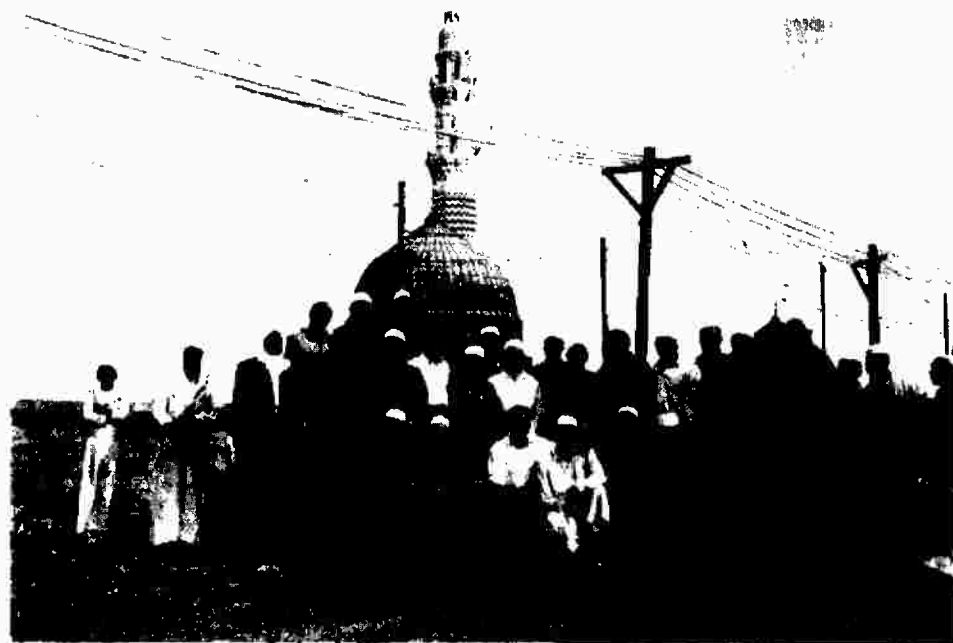
حملة الرمح والترس



حامل اللواء وثلاثة من
جنود العصر العباسي الثاني



الكعبة المشرفة في شكلها الراهن



المؤلف وصحبه فوق سطح المسجد النبوي الشريف